مبادرة السلام الفلسطينية

(الانجازات والتوقعات)

سميح شبيب

تتبدى صورة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، بعد مضي أكثر من عشرين شهراً على اعلان الاستقلال الوطني الفلسطيني، من خلال متغيّرات دولية، ومعطيات اقليمية، شهدت تزايد هجرة اليهود السوفيات الى فلسطين، وازدياد حدّة التشدّد الاسرائيلي، وتعليق الولايات المتحدة الاميركية حوارها مع م.ت.ف. ونتيجة لذلك، راوح هجوم السلام الفلسطيني في مكانه، الأمر الذي يدعو، مجدداً، الى قراءة الاحداث السياسية، ومناقشة بعض قضاياها الساخنة.

ان مشروعية القراءة النقدية للاحداث تتأتى، أساساً، من محاولة التوصل الى نتائج محدّدة بشأن مكنونات المبادرة السلمية الفلسطينية ومقوّمات هجوم السلام الفلسطيني، وآفاقه، في ضوء المعطيات الراهنة، والحصيلة الاجمالية للحركة الفلسطينية.

ولعلّ البدء باعادة قراءة الملامح الرئيسة للانتفاضة الفلسطينية، وآفاقها، كأساس واضح في المتغيّر السياسي الفلسطيني، وايصاله الى طرح المبادرة السياسية الفلسطينية، يشكّل المدخل الأكثر ملاءمة في هذا السياق. فالانتفاضة الفلسطينية استندت، منذ انطلاقتها، الى حقائق ميدانية تمكّنت، من خلالها، ان تخطو، بسرعة، الى أمام، وان تحقق ثلاثة أهداف أساسية، شكّلت، وما زالت تشكّل، قاعدة قيامها، واستمرارها. هذه الأهداف هي تعزيز الدور الاجتماعي ـ الاقتصادي للسكان المحليين، واعتمادهم على ذاتهم، أولاً وقبل كل شيء؛ وتشكيل قيادة وطنية موحّدة تعبّر عن حقيقة التشكيل السياسي ـ الاجتماعي القائم؛ واستيعاب، وتعميق، الاعلان الاردني عن فك روابطه الادارية والقانونية بالمناطق المحتلة، على اعتبار ان فك الارتباط الاداري لا يشكّل اقراراً اردنياً باستقلالية الحركة السياسية الفلسطينية، فحسب، بل انه اقرار عربي، واقعي، وعملي.

من خلال تلك الانجازات، تمكّنت الانتفاضة من احداث تحوّلات على غير صعيد داخل اسرائيل. فبالاضافة الى الخسائر المادية والمعنوية التي تنتج عنها، ثمّة الخسائر في الجانب الاقتصادي. الّا ان التحوّلات والخسائر لا تزال دون حدّ اجبار اسرائيل على الانحسار والانكفاء عن الضفة الفلسطينية وقطاع غزة المحتلين، والاعتراف بحقوق الفلسطينيين المشروعة. فعلى الرغم من الخسائر الاقتصادية الاسرائيلية، فان ميزانية اسرائيل للعام ١٩٩٠ تبلغ حوالى ٣٥ مليار دولار، أي بزيادة ملحوظة عمّا كانت عليه في العام المالي ١٩٨٨/١٩٨٩. وهذا، في الواقع، لا يشكّل عامل تشاؤم مستقبلياً؛ ذلك ان الانتفاضة قائمة، أساساً، على استراتيجية عدم التكافؤ فيما بينها وبين اسرائيل؛ الّا انها قادرة،